

الفائق في غريب الحديث

- عائشة رضی الله تعالی عنها بلغها أن أُناساً يتناولون من أبيها فأرسلت إلى أَرْزُفَلَةَ منهم فلما حضروا قالت : أبى والله لا تَعَطُّوه الأيدي ذاك طُودٌ منيف وظلٌّ مَدِيدٌ . نَجَحَ إِذْ أَاكَدِ يَتَمَّ وَسَبِقَ إِذْ وَنَايَتُمَّ سَبِقَ الجوادِ إِذَا استولى على الأَمَدِ فتى قريش ناشئاً وكهفها كهلاً يفكُّ عانيها ويريش مُمْلَقَها ويرُأبُ شَعْبِها حتى حَلَبَتَهُ قلوبها ثم استَشْرَى في دينه فما بِرَحَتِ شَكِيمَتِهِ في ذاتِ الله حتى اتَّخَذَ بِنْدَانَهُ مَسْجِداً يُحْيِي فِيهِ مَا أَمَاتَ الْمُيْطَلُونَ وكان وقيدَ الجوانحِ غَزِيرِ الدَّمْعِ شَرِيحِ النَّشْجِجِ فَانْصَفَقَتْ إِلَيْهِ نِسْوَانُ مَكَةَ وَرَوَى : فَأَصْفَقَتْ وولدتُ أَنَهَا يَسْخَرُونَ مِنْهُ وَيَسْتَهْزِئُونَ . فإِذَا يُسْتَهْزِءُ بِهِمْ وَيَمْدُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ . وَأَكْبَرَتْ ذَلِكَ رِجَالًا قُرَيْشٍ فَحَدَّتْ لَهُ قِسِيَهَا وَأَمْتَتَلُوهُ وَغَرَضًا فَمَا فَلَّوْا لَهُ صَفَاةً وَلَا قَصَمُوا لَهُ قَنَاةً وَرَوَى : وَلَا قَصَفُوا حَتَّى ضَرَبَ الْحَقُّ بِجِرَانِهِ وَأَلْقَى بِرُكَّهٍ وَرَسَّتْ أَوْتَادُهُ وَدَخَلَ النَّاسُ فِيهِ أَرْسَالًا . فَلَمَّا قَبِضَ إِبْنُ نَبِيِّهِ ضَرْبَ الشَّيْطَانِ رَوَّ قَهً وَمَدَّ طُنْبَهُ وَنَصَبَ حَبَائِلَهُ وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ وَرَجَلَهُ وَطَّانَتْ رِجَالُهُ أَنْ قَدْ أَكْثَبَتْ نُهُزَهَا وَلَاتَ حِينَ الَّذِي يَرْجُونَ وَأَنْزَى وَالصَّدِيقُ بَيْنَ أَطْرَاهِمَ فِقَامَ حَاسِرًا مُشْمِرًا قَدْ جَمَعَ حَائِثِيَتَيْهِ وَضَمَّ قُطْرِيَةَ فَرَدَّ نَشْرَ الْإِسْلَامِ عَلَى غُرِّهِ وَأَقَامَ أَوْدَهَ بَثْقِافَهُ فَاذْعَرَ النَّفَاقُ بَوَطْأَتَهُ وَأَنْتَاشَ الدِّينِ بِنَعَشِهِ حَتَّى أَرَّاحَ الْحَقُّ عَلَى أَهْلِهِ وَقَرَّرَ الرَّعُوسَ عَلَى كَوَاهِلِهَا وَحَقَّنَ الدَّمَاءَ فِي أَهْبَابِهَا ثُمَّ أَتَتْهُ مِنْبِيَّتُهُ فَسَدَّ نُلْمَتَهُ بِنَظِيرِهِ فِي الْمَرْحَمَةِ وَشَقِيْقَهُ فِي الْمَعْدَلَةِ . ذَاكَ ابْنُ الْخَطَّابِ إِمٌّ حَفَلَتْ لَهُ وَدَرَّتْ عَلَيْهِ ! لَقَدْ أَوْحَدَتْ بِهِ فَنَدَّخَ الْكَفْرَةَ وَدَايَخَهَا وَشَرَدَّ الشَّرْكَ شَذَرَ مَذَرَ وَيَعَجَّ الْأَرْضَ وَبَخَعَهَا فِقَاءَتَ أُكْلَهَا وَلَفَطَاتِ خَبِيْثَتِهَا تَرَامُهِ وَيَأْبَاهَا وَتَرِيدُهُ وَيَصْدَفُ عَنْهَا ثُمَّ وَزَّعَ فِيهَا فَيَدْتُهَا ثُمَّ تَرَكَهَا كَمَا صَحَبَهَا . فَأَرُونِي مَا تَرْتَأُونَ وَأَيُّ يَوْمِي أَبِي تَنْقِمُونَ ؟ أَيُّ يَوْمٍ إِقَامَتُهُ إِذْ عَدَلُ فَيْكُمْ أَمْ يَوْمَ طَعْنِهِ فَقَدْ نَظَرَ لَكُمْ ؟ أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ لِي وَلَكُمْ .

زَفَلِ الْأَرْفَلَةَ وَالْأَجْفَلَةَ وَالْأَرْفَلَى وَالْأَرْفَلَى : الْجَمَاعَةُ يُقَالُ : جَاءُوا أَرْفَلَةً وَأَجْفَلَةً وَبَارَزُوا فَمَلَّتْهُمْ وَأَجْفَلْتَهُمْ . قَالَ الشَّمَاخُ يَصِفُ إِبْلًا :